تقديم لمقدمة الكتاب[١]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي حكم بعدله فقهر، ودبر بلطفه فيسر، وألف بين من شاء من أحبابه وجعلهم أحبابًا، وجعل لمجالس الأنس من الفضلاء والندماء ألبابًا، فهم يتذكرون النوادر والأخبار، ويغتنمون في تلك الأوقات منادمة الأصحاب وتناشد الأشعار. أحمده على كل نعمة، وأشكره إذ جعلنا من خير هذه الأمة، وأستغفره من كل ذنب يوجب النقمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تجيرني من الخطايا والزلل، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، المبرأ من النقص والخلل، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه والتابعين وتابع التابعين.

وبعد: فهذا مجموع يشتمل على فصول تحوي مقاطيع رائقة، وقصائد فائقة، من كل لفظ بديع ومعان كأنها زهر الربيع.

---

(١) عثرت اللجنة بين محلفات المؤلف على الجزء الأول من مقدمة لهذا الكتاب، ولم نجد أثرًا لبقية أجزاء المقدمة، ولعله رحمه الله ترك استكمالها حتى يتم جميع مواد الكتاب، ولما لم يمهل الأجل تحقيق ما توخاه، آثرانا إثبات هذا الجزء من المقدمة كما وجدناه.

دعاء مأثور

من أفضل ما سُئل الله عز وجل حبه وحب من يحبه وحب عمل يقرب إلى حبه. ومن أجمع ذلك أن يقول المرء في دعائه:

اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك.

اللهم ما رزقتني مما أحب، فاجعله قوة لي فيما تحب، وما زويت عني مما أحب، فاجعله فراغًا لي فيما تحب.

اللهم اجعل حبك أحب إليَّ من أهلي ومالي، ومن الماء البارد على الظمأ.

اللهم حببني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين.

اللهم أحي قلبي بحبك، واجعلني لك كما تحب.

اللهم اجعلني أحبك بقلبي كله، وأرضيك بجهدي كله.

اللهم اجعل حبي كله لك، وسميي كله في مرضاتك.

obeikandl.com

كلمة اللجنة
بقلم الأديب الشاعر
الأستاذ عبد السلام شهاب
عضو اللجنة التيمورية والمحرر بالأهرام

لم يكن عجبًا، أن يُعنى بأمر الحب والجمال، عالم أديب، حجة في اللغة والتاريخ وغيرهما من العلوم والفنون، واشتهر إلى ذلك بالتزام الوقار والمحافظة على التقاليد الدينية والاجتماعية، هو المغفور له العلامة (أحمد تيمور باشا) صاحب هذا الكتاب.

فمن قبل ذلك بمئات السنين، عُني بأمر الحب والمحبين، كثير من أكابر العلماء والأدباء، وذوي المكانة الرفيعة والكلمة الموقرة المطاعة، في شئون الدين وشئون الدنيا على السواء.

وسيطالع قراء الكتاب، فيما تضمنه من آراء وأحاديث ونوادر وأشعار وغيرها، أسماء عشرات من هؤلاء وهؤلاء، وفي مقدمتهم: أنبياء وخلفاء وسلاطين، وفلاسفة وفقهاء ومتصوفون، بل سيجدون كذلك أن موضوع الحب والمحبين قد اختص بكتاب كامل من أهم كتب التراث العلمي والأدبي العربي، هو كتاب «طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاف» الذي قام بتأليفه منذ أكثر من تسعمائة سنة أحد أئمة المسلمين المشهود لهم بالورع والتقوى والاقتداء، هو الوزير الفقيه الفيلسوف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي،

وقد فصَّل فيه عناصر الحب وصفاته وآفاته، وساق أمثلة من تجاربه الخاصة فيه، وملاحظاته على المحبين من أهل عصره ومخالطيه، وأكَّد بالأدلة القاطعة المقبولة، أن (الحب ليس بمُنكرٍ في الديانة، ولا بمحظور في الشريعة).

وتعرضت كتب أخرى كثيرة لهذا الموضوع الشائق، منها كتاب «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» للعلامة الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ.

والمستقرئ لتواريخ الأمم والشعوب، قديمها وحديثها، وكبيرها وصغيرها، لا بد واجد أنها كلها -دون استثناء- تشترك في معرفة الحب ومعاناته، وفي تقدير أهميته في حياة الفرد والمجتمع. ثم هو إلى جانب ذلك لن يفوته أن يلحظ أن (الحب والجمال عند العرب) لهما مقام أسنى ومنزلة أعظم. فإذا هو التمس أسباب هذا ودواعيه، فما أيسر أن يتبينها فيما توافر للعرب في بيئتهم الخاصة، من فطرة سليمة وإحساس مرهف، ومن تذوق دقيق واعٍ لما يحيط بهم من روائع الجمال وبدائعه، متمثلة في مناظر صحرائهم، بما اشتملت عليه سماؤها من غيوم ونجوم، تسحر العيون والألباب.

فإذا أضيف إلى ذلك ما امتاز العرب به من كثرة الترحال والانتقال انتجاعًا للرزق، ومن فصاحة اللسان والجنان، والقدرة على التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم بصدق وإخلاص، فهذان برهانان آخران على أنهم خُلقوا ليكونوا أحق بالحب وأهله، وأقدر على حمل تبعاته، وأصدق تصويرًا له وتعبيرًا عنه.

وقد تغنى بجمال الحب وحب الجمال فطاحل الشعراء العرب، منذ عصر الجاهلية، ولم تخلُ من الحديث عن ذلك أو الاستهلال به أكثر القصائد الكبرى التي قدسها العرب الجاهليون وعلقوها على الكعبة تشريفًا لأصحابها، وتقديرًا لبلاغتها فيما أكد كثير من الرواة.

وفي أشهر هذه (المعلقات) يقول امرؤ القيس بن حجر الكندي:

أفاطم مهلًا بعض هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
أغرك مني أن حبك قاتلي ... وأنك مهما تأمري القلب يفعل؟

ويفتتح الحارث بن حلزة اليشكري معلقته بقوله في حبيبته (أسماء):

آذنتنا ببينها أسماءُ ... ربَّ ثاوٍ يملُّ منه الثواءُ

أما طرفة بن العبد، فقد أكمل معلقته مائة بيت ابتدأها بالشوق إلى (خولة) محبوبته، فذكر أطلال ديارها، ومراكبها التي حملتها بعيدًا منه، ومراكبه التي يمضي عليها هائمًا مشتاقًا إلى اللقاء، ومطلع معلقته:

لخولة أطلالٌ ببرقة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ويقول عنترة بن شداد العبسي في معلقته، موجهًا الخطاب إلى عبلة ابنة عمه:

ولقد ذكرتك والرماح نواهلٌ ... مني وبيضُ الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ويفتتح النابغة الذبياني معلقته، بذكر (مية) حبيبته وديارها التي أقفرت من أهلها فيقول:

يـــا دار ميـــة بالعليـــاء فالـــسند   أقـوت وطـال عليهـا سـالف الأمـد
أضـحت خـلاءً وأضـحى أهلهـا   أخنـى عليهـا الـذي أخنـى علـى لُبـد

ويقول ذو الأصبع العدواني، يشكو فراق محبوبته (ريا):

يـا مـن لقلـبٍ طويـل البـث محـزون   أمـسى تـذكر ريـا.. أم هـارون
فقـد غنينـا وشـمل الـدار يجمعنـا   أطيـعُ ريـا وريـا لا تعاصـيني
ترمـي الوشـاة فـلا تخطـى مقـاتلهم   بـصادقٍ مـن صـفاء الـود مكنـون

ويقول السموءل بن عادياء من قصيدة له يشكو فيها مرارة العذل، ويؤكد أنه لن ينتهي عن حب صاحبته مهما يطل عذله ولومه:

أعـــاذلتي ألا لا تعـــذليني   فكـم مـن أمـر عاذلـة عـصيتُ
دعينـي وارشُـدي إن كنـت أغـوى   ولا تغـوي -زعمـتِ- كـما غويـتُ
أعـاذل قـد أطلـت اللـوم حتـى   لـو أني مُنتـهٍ لقـد انتهيـتُ
وحتـى لـو يكـون فتـى أنـاسٍ   بكـى مـن عـذل عاذلـه بكيـتُ

وأي تعبير عن الحب أرقُّ وأعذبُ وأنفذ إلى القلوب قبل الأسماع، مما عبر عنه الشاعر الجاهلي المنخل اليشكري في بساطة محببةٍ، فقال:

وأحبهـــا وتحبنـــي   ويحـب ناقتهـا بعـيري!

وإذا كان هذا هو شأن (الحب عند العرب) في جاهليتهم، فلا شك في أن حظهم منه قد أصبح أوفر، بعد أن جاء الإسلام فألَّف بين قلوبهم، ورقق من طباعهم، وسما بهم درجات في تنظيم العلاقات بين الجنسين، وقرر للمرأة

حقوقًا لم تكن لها قبله، وحرَّم البغاء، وأوجب معاشرة النساء بالمعروف، أو مفارقتهن بالمعروف.

وقد استوصى النبي عليه الصلاة والسلام بالنساء خيرًا، وقرر أن «خير متاع الدنيا المرأة الصالحة». وقال: «**حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: النساء والطيب، وقُرة عيني في الصلاة**».

وجاء الخلفاء الراشدون فنهجوا نهجه، واتبعوا سنته. وأصبح معنى الحب مرادفًا لمعنى العفة والرغبة في استكمال الدين عند المسلمين.

وقد روي أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أصاب في زمانه ناسًا من هُذيل، فخرجت جارية منهم، فاتبعها رجلٌ يريدها عن نفسها، فرمته بحجر ففضتْ كبده. فقال عمر: هذا قتيل الله، والله لا يُودى أبدًا.

كذلك أفتى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بأن قتيل الهوى لا دية فيه ولا قصاص.

وفي أخبار الوالي العربي زياد بن أبي سفيان، أنه قال لجلسائه يومًا: من أنعمُ الناس عيشة؟ قالوا: أمير المؤمنين. فقال: وأين ما يلقى من قريش؟ قالوا: إذن أنت. فقال: وأين ما ألقى من الخوارج والثغور؟ قالوا: فمن أنعمُ الناس عيشة أيها الأمير؟ فقال: رجل مسلم، له زوجة مسلمة، لهما كفاف في العيش، وقد رضيت به ورضي بها، لا يعرفنا ولا نعرفه.

وقد حرص أكثر الشعراء العرب بعد الإسلام على التزام ما كان عليه أسلافهم قبله، من استهلال قصائدهم بالغزل والتشبيب بالنساء.

وروي أن النبي -صلوات الله وسلامه عليه- أعرب عن استحسانه هذا التقليد الأدبي، حينما أنشده الشاعر كعب بن زهير قصيدته التي مدحها فيها واستهلها بقوله:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ مُتيمٌ إثرها لم يُفد مكبولُ
وما سُعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغنُّ غضيضُ الطرف مكحولُ

وكان الخليفة العباسي هارون الرشيد يقسم أعوام حكمه: عامًا لحج البيت الحرام، وعامًا للجهاد في سبيل الله. ومع هذا كان يستحسن أشعار الغزل ووصف لواعج الحب، ويجيز عليها ويرويها. بل كان هو نفسه -فيما يقول الرواة- يسابق الشعراء في هذا المضمار فيقول:

مَلَكَ الثلاث الآنساتُ عناني وحللن من قلبي بكل مكانِ
ما لي تطاوعني البريةُ كلها وأُطيعهن وهن في عصياني؟
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وهو الضعيفُ أعز من سلطاني!

وقد حفل تاريخ الأدب العربي بروائع خالدة من قصص الحب وأبطاله وبطلاته، وكثير منهم ينطبق عليهم القول المأثور: «من أحب فعف فمات، مات شهيدًا» وما زالت قصصهم تضرب مثلًا على الإخلاص والوفاء.

من هؤلاء مثلًا: جميل بن معمر صاحب بثينة الذي يقول فيها:

وإني لأرضى من بثينة بالذي لو أبصره الواشي لقرت بلابله

بـ(لا)، وبـألا أستطيع، وبـالمنى وبالأمـل المرجـو قـد خـاب آملـه
وبـالنظرة العجـلى وبـالحول تنقـضي أواخـــره لا نلتقـــي وأوائلـــه

وكان يرضى منها بالقليل كما أشار في البيتين، وكما قال في بيت آخر:

أقلـبُ طـرفي في الـسماء لعلـه يوافـق طـرفي طرفهـا حـين ينظـرُ

ومنهم جميل وبثينة، من قبيلة عذرة المشهورة بالعشق والجمال، وقد تحابا صغيرين، فلما كبر خطبها، فرفض أهلها أن يزوجوهما، ومنعوه رؤيتها، وهددوه بالقتل، فلم يعبأ بتهديدهم، ولامه أبوه على استهتاره ومخاطرته بنفسه، فرد عليه قائلًا:

«يا أبتِ، هل رأيت أحدًا قدر أن يدفع عن قلبه هواه، أو مَلَك أن يسلي نفسه. والله لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبي، أو أزيل شخصها من عيني، لفعلتُ، ولكن لا سبيل إلى ذلك، وإنما هو بلاء قد بليت به لحين قد أتيح لي، على أني أمتنع عن طروق هذا الحي والإلمام به ولو مِت كمدًا، وهذا جهدي ومبلغ ما أقدر عليه». وما زال على حبه لها حتى قضى أسى ولوعة لفراقها.

ومنهم قيس لبنى، وكان قد تزوجها، وسعدا بتبادل الحب حينًا، ثم طلقها نزولًا على إرادة أبيه، ولم ينفعه الندم بعد ذلك، فهام على وجهه ينشد السلوان، لكنه لم يستطع صبرًا على فراقها، وظل يذكرها حتى مات.

ومنهم توبة بن الحمير وصاحبته ليلى الأخيلية، وفيها يقول:

ولـو أن لـيلى الأخيليـة سـلمت عـليَّ ودوني تربـة وصـفائح
لـسلمت تـسليم البـشاشة أو زقـا إليها صدى من جانب القبر صائح

ومنهم كُثير وصاحبته عزة، وعمر بن أبي ربيعة وصاحبته الثريا، وقيس بن الملوح مجنون ليلى، وقيس بن ذريح وصاحبته لبنى، وعروة بن حزام وعفراء، وكثير غيرهم من العشاق العرب في مختلف العصور والبلدان.

ولقد كان صاحب هذا الكتاب، يعد في طليعة المشهود لهم بالتعمق في دراسة تاريخ العرب وعلومهم وآدابهم وفنونهم، وسبق أن أخرجت له لجنة نشر المؤلفات التيمورية طائفة من الكتب القيمة في جمهرة من هذه الفنون والآداب والعلوم، آخرها «الموسيقى والغناء عند العرب»، أما هذا الكتاب «الحب والجمال عند العرب» فقد عثرت اللجنة على أكثر أصوله بخط المؤلف بين ما خلف من مخطوطات لم يقدر لها أن تطبع في حياته. وقد جمع رحمه الله هذه الأصول من مئات الكتب والمخطوطات التي اشتملت عليها مكتبته، وترك جزازات أشار فيها إلى موضوعات مماثلة في كتب ومخطوطات أخرى كان يعتزم إضافتها إلى الأصول، فتولت اللجنة هذه المهمة لتكمل الكتاب على النحو الذي أراده.

والكتاب يشتمل على عشرة أبواب:

أولها في «صفات الحب وأغراضه»، وفيه فصول متفرقة أهمها عن ماهية الحب، ومعنى الحب والمحبوب، وعشق الشرف، وعشق الجمال، وأحلام المحبين، والحبيب الأول والحبيب الآخر مع اختلاف الدين...

والباب الثاني عن «أنواع الحب» وتندرج تحته فصول عن حب الولد وحب الأيامي واليتامى، وأمثال في الحب، وحجة بالغة.

والباب الثالث عن «حب الأزواج»، وفيه فصول عن زواج النبي من خديجة وحبها له وتقديره لها، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة، على اختلاف ألوانه.

والرابع عن «الشعراء العشاق» وما قيل منهم في معشوقاتهن.

والخامس عن «الحب والجمال»، وفيه فصول حب امتداح النساء ووصف جمالهن على اختلاف في ألوان الوصف والتشبيه وأسماء النساء.

والسادس عن «الغزل ووصف النساء».

والسابع عن «العيون وما قيل فيها» نثرًا ونظمًا مع رسالة في معاني لفظ (العين) وآفة النظر وغائلته.

والثامن عن «تعدد الزوجات والأزواج»، وفيه فصول عن حكمة التعدد في الإسلام إلى كشف وجه المرأة في الإحرام.

والتاسع عن «عداوة النساء»، وأن طاعتهن تردي العقلاء وتذل الأعزاء.

أما الباب العاشر فحوى «طرائف عن الحب»، وفيه فصول عن المرأة بين الحب والمال، ومن الحب إلى الزهد، وغيرها من ضروب أخرى إلى محبة الأعداء.

وإنا لعلى يقين من أن هذه الأبواب والفصول كلها -وقد اجتمعت مفصلة وموضحة في هذا الكتاب الجديد- جديرة بأن تجعله -كما أراد مؤلفه العلامة

المحقق المغفور له أحمد تيمور باشا رحمه الله- ذا نفع كبير للأدباء والمتأدبين ولقراء العربية أجمعين، والله ولي التوفيق.

obeikandl.com